الفعل الجنسي كمضاد نفسي لتأزم الذات في رواية الخبز الحافي لمحمد شكري (كتابة الطابوهات وخرق المحرم)

Sexual act as a psychological counter to self-assertion in the novel Al-Khubz Al-Hafi by Muhammad Shukri (writing taboos and breaking the taboo)

سهيلة علي صوشة*
جامعة محمد بوضياف بالمسيلة
Souheyla Ali saoucha
Mohamed Boudiaf University of M'sila
souheyla.alisaoucha@univ-msila.dz

عماربن لقريشي
جامعة محمد بوضياف بالمسيلة
Ammar Benlokrichi
Mohamed Boudiaf University of M'sila
ammar.benlokrichi@univ-msila.dz

تاريخ الاستلام: 2020/05/31 تاريخ القبول: 2020/10/08 تاريخ النشر: 2021/04/11

- **الملخص:** تناولنا في هذا المقال الحديث عن التجريب كآلية اشتغالية تحديثية في النص الروائي، من خلال الجنوح للكتابة عن الطابوهات (خرق المحرم) ونبش غواياته والخوض فيه كنوع من أوجه التحديث كتيمة الجنس وربطها بمتجذراتها النفسية التي مثلت أرضية التأثيث لمثل هذا النوع من الكتابة إذ اعتبرت تأزمات الذات المبدعة الركيزة الأساسية في الفعل، وهذا ما أثبته البحث في هذا الموضوع إذ مثل التجريب مستقطب للمبدع بعد أن وجد فيه كل احتمالات الكتابة القادرة علة استيعاب الضائقة النفسية والأزمة التي أحدثتها التغيرات الاقتصادية، والاجتماعية، والسياسية، من خلال الاعتماد على آليات اشتغالية جديدة أعطت للرواية المرونة لتتماشى مع هذه التغيرات، كما مثلت الكتابة الجديدة بابا انفتح على مصراعيه في النبش وراء المجتمع وفضح ممارساته المندثرة تحت الميثاق الأخلاقي كالتطرق للمحرم من خلال الكتابة عن الجنس مثلا، وكذا الحديث وتعرية كل التجاوزات التي تقام في حق الذات وتأزم من فعل وجودها، وهذا ما أفرزته الدراسة من خلال تحليل ووصف النموذج المستقرء أي باستعمال المنهج التحليلي الوصفي حيث قمنا في هذا الجانب بدراسة تأزم الذات إثر عوامل داخلية، وخارجية، هذه العوامل التي أدت بطريقة أو بأخرى إلى إحداث ردة فعل، تختلف هذه الردة من شخص لأخر على حسب الشدة، والجانب العقلي والنفسي، والمحيط، ومدى تأثر الشخصية الواقعة تحت هذا الظرف، لتنتج بعد ذلك ردة فعل غالبا ما تكون خارجة عن المألوف وغير مستصاغة في مجتمعنا الذي يمشي تحت بنود تفرضها العادات، والتقاليد، والدين وغيرها، تأتي ردة الفعل متشبعة بروح الرفض، والخروج عن ما هو موجود لما يمكن أن يوجد، تحمل ضائقة نفسية للشخصية.

- **الكلمات المفتاحية:** الجنس، التجريب، العنف، التحليل النفسي، الرواية.

*- المؤلف المرسل

- **Abstract:** In this article. talked about talking about experimentation as a retrofit operating mechanism in the narrative text. through the delinquency of writing about taboos (breaking the maharram (and exhuming its mysteries and delving into it as a kind of ipermeable aspect of sex and linking it with its psychological rootedness that represented the florr of furnishing for this type of writing as it considered self-crises creativity is the main pillar of the act . and this is proven by research on this topic. as it represented the polarized experimentation of the creator after he found in it all the possibilities of writing capable of absorbing psychological disttress and the crisis caused by economic. social. and political changes. by relying on new operating mechanisms that gave the novel flexibility to cope with these changes. The new writing also represented a door that opened up to the struggle in exploring its practices that are hidden under the moral charter. such as touching forbidden through writing about sex. for example. as well as the conversation and exposing all the excesses that take place in the right of the self and which is aggravated by the act of its existence. and this is what the study produced by analyzing and describing the extrapolated model .that tis using the descriptive analytica method The influence of internal factors, and accordingly, the factors affecting the influence of internal factors differ from other factors that affect one other influence in their effect, due to their influence in contributing to one contribution, instead, these factors differ one effect to another according to the severity The mental and psychological aspect, and printing influences the personality under this circumstance, to produce after that a reaction that is often out of the ordinary and unpleasant in our society, which is under the imposition of customs, traditions, religion, etc. Exist for what exists, bears psychological distress for the character,

key words: experimentation. violence. psychoanalysis. the novel.

- مقدمة:

اكتسبت الرواية مكانة في المنظومة الابداعية بعد كل تلك التحولات التي روضت الفعل الكتابي لينسجم مع متغيرات الواقع من جهة والمشي محاذاتها من جهة أخرى، دون أن تمثل سلطة

على التأثيث السردي وتحوره على سجيتها بمفارقة جديدة زعزعت القواعد والمسلمات القديمة وفتحت المجال لمفاهيم أكثر حداثة وفاعلية وافقاد ملكية النوع واحتكار بعض التسميات على نوع أدبي من غيره، والتخييل عبر طرائق التشخيص والتداعي والابهام، والوعي بالمتغيرات والنبش فيها. فخاضت تجربة التحديث من منطلق آليات جديدة عملت على التجاوز والهدم وممارسة الابداع الكتابي دونما قيود أو شروط.

فتطرقت الكتابة إلى ممارسة الفرد المبدع حريته في فعل الكتابة بعد أن وجد فيها متنفسا بالتعبير عن الأزمة وضياع الذات وتشتتها في مرحلة عمرية مثلت حالة من التأزمات وفقدان الثقة في المؤسسة الفاعلة، فكان لابد من ايجاد بديل تعويضي يلملم كل هذا، وهذا ما مثلته الرواية الجديدة أو الرواية التجريبية بكل آلياتها الاشتغالية.

- مشكلة الدراسة:

لم تقتصر الكتابة على استيعاب تأزمات الذات واعطائها متنفسا للبوح بكل ذلك التضارب الذي تعيشه، إنما تعدتها من خلال الغوص في المجتمع وتعرية زيفه.

وقد تطرقنا في هذا البحث إلى الجنس في الرواية كمضاد للتأزمات النفسية التي تظل مخفية عن الكل في محاولة قمعها، غير أنها في لحظة من اللحظات تتملص من كل ظلام لتحاول الخروج إلى العلن من خلال أيقونة معينة يترجم من خلالها هذا الكبت كرد فعل من قبل الشخص مثل ما هو موضح إذ اعتمدنا على الفعل الكتابي من أجل دراسة الجنس في رواية " الخبز الحافي" لـ "لمحمد شكري" كمضاد للمشاكل التي تعيشها الشخصية.

اكتسبت الرواية مكانة في المنظومة الابداعية بعد كل تلك التحولات التي روضت الفعل الكتابي لينسجم مع متغيرات الواقع من جهة والمشي محاذاتها من جهة أخرى، دون أن تمثل سلطة على التأثيث السردي وتحوره على سجيتها بمفارقة جديدة زعزعت القواعد والمسلمات القديمة وفتحت المجال لمفاهيم أكثر حداثة وفاعلية وافقاد ملكية النوع واحتكار بعض التسميات على نوع أدبي من غيره، والتخييل عبر طرائق التشخيص والتداعي والابهام، والوعي بالمتغيرات والنبش فيها. فخاضت تجربة التحديث من منطلق آليات جديدة عملت على التجاوز والهدم وممارسة الابداع الكتابي دونما قيود أو شروط.

فتطرقت الكتابة إلى ممارسة الفرد المبدع حريته في فعل الكتابة بعد أن وجد فيها متنفسا بالتعبير عن الأزمة وضياع الذات وتشتتها في مرحلة عمرية مثلت حالة من التأزمات وفقدان الثقة في المؤسسة الفاعلة، فكان لابد من ايجاد بديل تعويضي يلملم كل هذا، وهذا ما مثلته الرواية الجديدة أو الرواية التجريبية بكل آلياتها الاشتغالية.

لم تقتصر الكتابة على استيعاب تأزمات الذات واعطائها متنفسا للبوح بكل ذلك التضارب الذي تعيشه، إنما تعدتها من خلال الغوص في المجتمع وتعرية زيفه.

من خلال الكتابة عن الجنس/ السياسة/ الدين، باعتبارها تمثلات اجتماعية تنخر في الواقع وتتجذر منه. من ذلك الجنس الذي مثل كتابة مفتوحة افاضت فيها الكتابة وتشعبت، كون التطرق اليه إنما يعد نوعا من التجاوز والاخلال بالمجتمع والتعدي على حرمته، دونما شعور أنه ممارسة موجودة بالمجتمع، متأصلة تسري في مفاصله كما يسري الدم في العروق، دون ما البحث عن أسبابه لكنه يبقى ظاهرة اجتماعية موجودة ومنتشرة، ومن ذلك يمكننا التساؤل عن هل الحديث عن الجنس في الرواية هو عملية فرضها التجريب كنوع من التحديث والمجازفة، أم هو حالة نفسية أخذت مكانها في المجتمع ومنه وجب التوجه لها والكشف عنها؟ بمعنى هل التجريب في الرواية وسيلة أم غاية؟ للإجابة عن هذه الاشكالية اعتمدنا على المنهج التحليلي الوصفي الذي يتلاءم والسؤال.

- أهمية الدراسة:

الوقوف على الآليات التي تعطي للكتابة المرونة التي من شأنها أن تجعل الكتابة مضاد للتنفس على الواقع والمشي بمحاذاته، من ذلك الكتابة عن الجنس كفعل تحديثي طلائعي يهدف إلى تعرية واقع مجتمعاتي ينطوي داخل العادات والتقاليد.

وكذا البحث عن مضادات للكتابة كرد فعل من خلال تتبعها والوقوف على مظهرها.

تسليط الضوء على الفعل الجنسي كنوع من الخيارات التي يقاد لها الفرد نتيجة لظروف ما، وبالتالي توضيح الممكنات الموجودة ومحاولة ايجاد لها البدائل للحد من هيمنتها ومما يترتب عليها مستقبلا، كذلك الخوض في الأسباب التي تؤدي لمثل هذه الخيارات ومحاولة تسليط الضوء عليها فبمعرفة العلة يوصف الدواء.

- أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة إلى إعطاء الكتابة مضمونها الاشتغالي من حيث الاعتماد على لآليات جديدة تهدف إلى محاولة الخروج عن نمط الكتابة التقليدية على مستوى الشكل والمضمون، كمحاولة منهم إلى مسايرة تغيرات الواقع الاقتصادية والاجتماعية والسياسية.

تسليط الضوء عن المؤسسة الفاعلة التي بدورها تعد المسبب الرئيسي في احتواء هذا الفعل من خلال التكتم عليه والبعد كل البعد في تعريته من خلال التستر عليه كونه يتعارض مع المنظومة التقليدية وعاداته التي أصبحت دستور ينظم حياتنا، نحن ندرك أن البحث في سياق اجتماعي مثل الجنس أمر يتنافى مع المتعارف غير أن هذا ليس عذرا لمحاولة تجاهله خاصة كونه

فعل متجذر في المجتمع بل ويزداد كل يوم عن سابقه، ولعل السكوت عنه هو المعيار الأساسي الذي يعمل على زيادته، كما أن المجتمع الذي يسعى إلى تركه وراء الحجب هو المحرض الأول لانتشاره وبلوغه على هذا النحو: لذلك وجب تعرية بعض الزيف الذي يتخبط فيه والمتخفي وراء عباءة العادات والأخلاق والنظر من وجهة أن الحديث عنه إنما محاولة تصحيح المسار.

1- مفهوم التجريب:

استقامت الحداثة على إدحاض المسلمات والتطلع إلى الاستكشاف والاختبار وعدم الاعتراف بأي قانون... والتجاوز وتحطيم القواعد، والتفكك، وانعدام المنطق، والبحث عن منطق جديد (خالد، 2010، ص. 52). والتخلص من الترهلات السردية القديمة والحرية في التعامل مع نصوصنا كون القصة هي قصة ذاتيتنا وعالمنا الذي يمثل انطلاقة التأثيث للسرد الروائي فكل رواية تقول عصرها وتتضخم بصخب أحداثه التي تتغير وتتحرك باستمرار دونما سكون أو تمهل ولعل هذا جعل الثورات الفنية الحديثة تسعى جاهدة للبحث و التجريب في كل الخصائص السردية التي من شأنها أن تعطي للرواية باعا طويلا في مسايرة هذه الحتميات التي أفرزتها التطورات على مستوى مختلف الأبنية، من ذلك اتخذ مصطلح "التجريب" كمفهوم أدبي التقنية الأمثل التي بموجبها ابتُكرت معالم فنية جديدة ورؤية مغايرة تقدم تحولا في ابتكار عوالم متخيلة غير معتادة تتعالق مع الطبيعة وما فوق الطبيعة مع الذات الحفية ومع الآخرين مع الواقع ولا واقع (تزفيطان،1994، ص. 2)، من جهة و"الانقطاع الواضح عن مسايرة التقاليد السائدة للتراث الأدبي والالتزام بها" (السعافين، 1995،ص. 125). من جهة أخرى، فكان بدايتها أسئلة البحث عن آليات جديدة للاشتغال على الخطاب واعطاءه البعد الجمالي ووجودا مغايرا في عملية تنفيسه على الواقع وكون التجريب الأدبي ما هو إلا انزياح يعمل على ضرب السائد وخلخلة توازنه و"صنو الخلق والابتكار والظل المكين والآلية المحركة والدافعية نحو انطلاقات ترفض المتكلس الباهت" (الخواجا، 1995، ص. 109).

مثل التجريب في الرواية حتمية أفرزتها جملة التغيرات التي مست مختلف أوجه المدينة وما نتج عن هذه التغييرات على المستوى الفردي والمجتمع والتي تبلورت بصورة واضحة في الأعمال الروائية المنجزة، الأمر نفسه لم يختلف في كون التجريب في الرواية العربية هو مخاض جملة من التحولات التي مست كيان المجتمع والفرد وافرزت طقوس وحياة مغايرة فرضت على المبدع العربي تبني التجريب كمنفذ لمعايشة الواقع ومحاولة تحميله في الذاكرة وعلى الورق إذ "على الرغم من الاختلاف في طبيعة مفهوم التجريب لدى المثقف العربي وحقيقة دوافعه وحدوده وتجلياته، فإن ظهور آثاره في أعمال أدبية وفنية وثقافية أمر غير منكور، فالمثقف العربي له ظروفه ودوافعه وله

مخاوفه المشروعة، وقلقه المصوغ تجاه الهوية والمستقبل والتراث، وله في النهاية رؤيته للعالم، فمحاولته تجريب أشكال تباين الأشكال المرجعية التقليدية التي تبدو الواقعية نموذجها الواضح أمر ليس مستغرب، فدواعي التجريب بصورة عامة مسوغة، ولكنها بحاجة دوما إلى مراجعة تملها في المقام الأول ضرورات فنية" (السعافين، 1995، ص. 127). وهذا الاختلاف في ممارسة التجاوز عن طريق البحث في أشكال جديدة وطرائق جديدة في الكتابة الروائية هو ما يميز التجربة الجديدة (يقطين،1985، ص. 287).

في التنظير النقدي للمصطلحات التي تعكس من خلالها الوجهة النقدية في التموضع على مسميات لها القدرة على احتواء هذا المخاض التجديدي، نجد مصطلح "التجريب" الذي استحدث ملونات ابداعية جديدة للكتابة الروائية القادرة على الاستجابة الضمنية لتعقد الواقع وتحولاته المستمرة التي لا تستقر على عود، ففي النهاية " الفن حياة لا شيء فيه يكسب بشكل نهائي" (جريبيه، د- ت، ص. 21). وهذا ما فرض إعادة النظر والبحث المستمر عن آليات من شأنها أن تنساب كمادة طيعة مع التغيرات الاجتماعية، والاقتصادية، والفكرية. والتي بدورها أثرت على مدركاتنا واعتقاداتنا الفلسفية منها وحتى اشكالية اللاوجود المادي والذهني الذي سيطر على حياتنا في فترة معينة

2- مفهوم التجريب الروائي في الرواية العربية:

اعتبرت الرواية العربية رواية تجريبية بطبيعتها إذ نشأت الرواية العربية الحديثة في ضخم تلك التغييرات والتجديدات الممارسة على الرواية الغربية حيث "مع ظهور موجة التجريب في الرواية الغربية نهضت مواكبة لها في تجربتها" (البارديي، 2000، ص. 234) من خلال استنادها على جملة مبادئ تجريبية فوظفت تقنيات فنية قطعت الصلة عما شاع من رؤى وأساليب واقعية درجت في الرواية العربية، وظهرت في ستينيات القرن الماضي (أبو سيف، 2008، ص. 22.)، على يد ادوارد الخراط، وصنع الله ابراهيم، وجمال الغيطاني في مصر (الخراط، الحساسية الجديدة، ص. 19)، حيث استمدت أعمال صنع الله ابراهيم "حداثتها من نزعتها التجريبية التي تطرح من جديد اشكالية التمثيل وطبيعة الجنس الأدبي، ولا شك أن المتتبع لأعمال (صنع الله ابراهيم) على سبيل المثال منذ صدور الرواية الأولى التي كتبها: تلك الرائحة إلى بقية الروايات يدرك بجلاء هذه النزعة المتواصلة في خلخلة البنى السردية في الرواية العربية، وزعزعة طقوس، التلقي التقليدي التي ربطت القارئ العربي بالرواية العربية زمناً طويلا" (البارديي، 2000، ص 301.)، أما "جمال الغيطاني" "يكرس النموذج الذي يلجئه إلى التراث العربي الاسلامي تاريخاً وأدباً ليستوحي منه تقنياته ويطرح من خلال قضاياه المجتمع العربي المعاصر" (البارديي، 2000، ص. 55).

وفي تونس نجد "محمود المسعدي" وابراهيم الدرغوثي"، و"عز الدين المدني" و "فرج الحوار". أما المغرب فنجد "أحمد المديني" وبرادة والجزائر نجد في أعمال "الطاهر وطار" ورشيد بوجدرة" و" واسيني الأعرج" وفي التسعينيات على يد "بشير مفتي "فضيلة فاروق" ... الخ " اندفعت تجارب هؤلاء الروائيين إلى ممارسة ألوان جديدة ومبتكرة وغير مقوقعة لتحقيق مفهوم الحقيقة الجديدة المكتشفة، ومن ثم تميزت هذه الأعمال بأنها أعمال فردية، تعكس وجهات نظر خاصة، وتتسم بالجرأة وعدم التقيد بنظام أو اتجاه معين" (الورقي،1982، ص ص. 2-3).

فغدى التجريب في الرواية العربية على وجه العموم ضربا من الوسائل الاشتغالية التي تبنى عليها الكتابة، ويوظف على حسب الاعتقاد الذاتي والمفهوم الخاص للفعل التجريبي.

3- الكتابة الجديدة وتغيرات الو اقع (كتابة الذات والمجتمع):

يمثل فعل الكتابة برنامجا مضادا في التقليل من سطوة الواقع ومنفذاً اجرائيا في بلورة الفهم والبحث عن الذات وإخراج المسكوت عنه وكل تلك الفوضى التي تتجذر في البنيات الاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية، وحتى الثقافية منها، لذلك كان لابد من اجراءات اشتغالية في الفعل الكتابي تناهض السياسة الشكلية للرواية التقليدية التي باتت غير قادرة على استيعاب كل هذا الضخم المعرفي والتحولات في بنية المجتمع والمتطلبات الناتجة عن هذه التحولات لذلك ارتبطت الحداثة بشكل عام " بالانزياح المتسارع في المعارف وأنماط الانتاج... ومع القيم التي تفرزها أنماط الانتاج والعلاقات السائدة، ... وتطرح المسائل الأساسية على بساط البحث وإعادة النظر، وهذا يؤدي إلى اهتزاز القيم ومنظومة المفاهيم" (سعيد، 1984، ص. 26). ومحاولة التغيير والثورة على كل المفاهيم الخاطئة والتجاوزات والبحث عن قيمة الذات ووجودها وما تمثله كفعل موجود معطوب على العمل له أحقية ممارسة حرية الوجود بفعل توثيقي والمناهضة وهذا ما مثلته حركات التحرر في حق الدول في تقرير مصيرها وممارسة مشروعية هذا الوجود في ممارسة تنبع من الذات وتعود للذات، فكانت مخاض هذه الحركات تغيرات جذرية على جميع الأصعدة، هذه التحولات التي فرضت وجود فن أدبي تتمدد قوالبه لاستيعاب هذه التغييرات والقدرة على مجاراتها ولعل هذا ما جعل "كمال أبو ديب" يؤسس للحداثة بظهور حركة التحرر القومي، والاجتماعي، والثقافي، والاقتصادي، بعد منتصف القرن الحالي، وأن الحداثة إنما متجذرة في السلطة في بعديها السياسي والاجتماعي متجسدة في السيطرة الطبقية والاستغلال الطبقي، هذان البعدان يجسدان السلطة وسحقها للإنسان هي المكونات الأساسية للوعي الحداثي (سالم، 2010، ص. 54).

ومنه فإن الأدب الحداثي هو أدب السلطة والصراع مع المؤسسة الدينية، وقوانين الكنيسة، والتقاليد الاجتماعية والمفاهيم الموروثة ثم تحول الصراع بعد اكتمال بنى المجتمع

الرأسمالي إلى صراع مع التقاليد الأدبية لصالح الحرية الفردية وهكذا تمحورت حول صراع الدين، والدولة (سعيد، 1984، ص. 27).

وبهذا تكون الحداثة ثورة فكرية وموقفاً شاملاً ليس تقسيما زمنيا محددا، كما شمل اعادة نظر شامل في نسق المفاهيم والنظام المعرفي وما يشكل صورة العالم في وعي الإنسان (سعيد، 1984، ص 27).

على خلفية المتغيرات التي تتخبط فيها الكتابة الأدبية الرواية على وجه الخصوص اصطنعت بعض المصطلحات التي من شأنها أن تتوافق مع حقيقة تغير العالم/الواقع، فلم تعد القوالب الكلاسيكية صالحة لاستيعاب ثقل العلاقات الجديدة باعتبار أن " لكل موقف جديد، ولكل مفهوم جديد لمضمون الرواية، وللعلاقات التي تقيمها مع الحقيقة، ولهيكلها تناسب مواضيع جديدة، وبالتالي تناسبها أشكال جديدة على مستوى اللغة، والأسلوب والتقنية، والتأليف، والبناء وعلى النقيض من ذلك فإن التفتيش عن أشكال جديدة يظهر مواضيع جديدة، ويكشف علاقات جديدة" (بوتور،1971، ص ص. 9-10).

أطلق اسم الرواية الجديدة والرواية الحداثية والرواية التجريبية التي تنطلق من معارضة عملية الكتابة ووظيفتها والغاية من الابداع الروائي والابداع الأدبي بعامة (الكردي،1993، ص. 78). كون أن الرواية تسعى للتعبير عن الواقع لا نقله وإلى ذلك الزخم الذاتي والنفسي وعدم تسليمها بالأمور اليقينية بل السعي إلى الشك والبحث واثبات الوجود فهي سرد شخصي " تفصح عن روح الرفض السائدة التي حاولت أن تزيح عن طريقها كافة الأشكال التي تعوق حركة فاجتمعت وفقا لذلك مناهج وطرائق مختلفة في الكتابة" (كشك،1988، ص. 32) التي بدورها لا تهدف للإعلام ولكنها اختراع دائم ومستمر للعالم والإنسان (عزيز سلامة، 2010، ص 21)، كون جوهر الرواية ممثل في رؤية العالم.

الرواية جنس أدبي مفتوح على احتمالات غير منتهية متجذرة في الوجود والمجتمع باعتبارها عمل غير منجز ولا تزال في طور التكوين وهذا يعني "استمرارها في الانفتاح ورفضها الاحتواء من قبل مؤسسة اجتماعية ما أو تكريسها في شكل فني معين" (باختين، د-ت، ص. 66). مرتحلة في سفر دائم في التاريخ وكأنما بذلك هي ميزة عمرية تعايش اللحظات بكل تناقضتاها وتطوراتها فلا تتوقف عند نهاية لحظة عمرية بل تغير من جلدها كي يتناسب مع الواقع الجديد ولعها النوع الوحيد الذي يبحث بشكل دائم، ويحلل ذاته أبدا، ويعيد النظر في كل الأشكال التي استقر فيها (باختين، د-ت، ص. 67). ومن هنا أخذت الرواية طابعها التاريخي والاجتماعي.

التجريب مشروع رؤية فنية تحث على الاجتهاد والفضول والمغامرة وعدم التسليم أو القناعة بما هو جاهز (الدموس، يناير 2007، ص. 11). فالتجريب والبحث في الرواية ضروريان ضرورتهما في الفن والعلم، انهما يحطمان القوالب القديمة التي لم تعد قادرة على التعبير عن الرؤى الجديدة، والمنظور الكبير لا يتحقق بالامتداد الواسع للسطح، لأن ثمة منظور في العمق (أناييسنن، 1983، ص. 268.)، عملت الرواية التجريبي على نبش خبايا الذات والبحث عن التأصيل السردي الذي يتولد إثر نموذج مضاد لتقهقر الذات إثر حدث انفعالي مكتوم، من خلال ممارسة فعل الكتابة ومحاولة اسقاط التمظهرات النفسية على صفحات الورق. وخاصة وإن اعتبرنا أن الجانب المظلم/ المكبوت من الشخصية إنما هي تجسيد فعلي لحالة من التيه الذي ظل محبوسا في ظروف عملت على تهيجه في خانة مظلمة وبالتالي تعزيزه على كونه فعل رد يخرج في سلوكات غريبة متنافية والحدود الاجتماعية وحتى الأخلاقية أحيانا.

إن الحديث عن نوع جديد من الكتابة إنما هو الحديث عن طرائق اجرائية جديدة تعمل على كسر ميثاق الكتابة الرثة المحتشمة.

4- الكتابة الجديدة والتأزم النفسي للذات الكاتبة:

مثلت الرواية "إعادة إنتاج حياة يظهر فيها ما يمز الحياة نفسها: شخوص، أحداث، زمان ومكان، يصطرع فيها ما تضطرم به الحياة -أيضا- من تعدد لغوي وفكري، وصراع ايديولوجيات ورغبات مختلفة" (أناييسنن، 1983، ص. 22)، عملت على استيعاب كل الظواهر الاجتماعية بكل خلفياتها ومثلت صوت المجتمع في نقل أبعاده وتسليط الكتابة على لفظ الجانب المسكوت عنه في التجاوزات والأزمات التي يرتوي بها حد الفيض عن الاحتمال في مراحل حياتية متتالية، نقلت "أثر الوضع الاقتصادي والاجتماعي في فترة ومكان معينين على السلوك الإنساني" (محمد رباعي، 2005،ص. 33).

إذ مثلت بعض الأعمال الروائية في كل حدث أو نكسة وقع المجتمع في بوتقتها لسانا ناطقا يعبر عن الأزمة من خلال رفضها لتلك الممارسات والمناهضة كفعل رد وبرنامج مضاد على ما هو موجود ومن كل هذه الممارسات تنوعت التسميات التي التصقت بالرواية بمنظور نفعي براغماتي من الرواية الاجتماعية إلى الواقعية (رباعي، 2005، ص. 20.)، من خلال استيعاب بطل الأعمال الروائية للوضع القائم والتجاوزات والممارسات الاجتماعية كونه جزءا من هذا الكل حيث تنطلق فكرة الكتابة من خلال ممارسة ذاتية تنطلق من الوعي التام للواقع المعاش.

مثل هذ الوضع مادة خاما للمبدع من أجل صياغة كل تلك التجاوزات في حقه فلم تكن الكتابة سوى خيط الأمل الذي يكسر عتمة الأزمة التي فجرت سيلا عارما من ابداعات اتكأت على

التاريخ والواقع والذات على الانهزامات والانكسارات والحلم والضياع والكتابة فجاءت "أعمالهم فاضحة للقوانين والحكام والمجتمع والتقاليد" (رباعي، 2005، ص. 70)، التي عملت على الحد من ممارسة الفعل المنوط بهم كونهم النخبة العالمة بما يمكن أن يكون بدل ما هو كائن وبالتالي تغييب الدور الايجابي الذي يمثله هذا النوع من التحديات. من هنا يمكننا اعتبار الذات إنما هي المحرك الأساسي للعملية الابداعية من خلال معايشة أوضاعها النفسية وتأزماتها ضد الواقع، ومن هذي الانطلاقة مثل "المنهج النفسي" ملمحا ضروريا في محاولة البحث والوقوف عن هذه التأزمات ومحاولة ارجاعها إلى منبتها الطبيعي من خلال خروج الذات المبدعة من حالة السكون إلى ترجمة الفعل النفسي والتأزم الذاتي بالكتابة، من ذلك مثلت المناهج السياقية في قراءة المتن السردي ومحاولة ربطه بالمؤثرات الخارجية ضرورة ملحة لفهم النص وادراك كيفية الكتابة وعل المنهج النفسي أهم المناهج التي من خلالها يمكننا تتبع الذات الكاتبة وفعل التأزم (خالدي، 2000، ص. 43)، ومنه فإن الكتابة عن ذات تتطلب البحث عن السياقات النفسية التي من شأنها أن تشرح فعل الكتابة.

الكتابة عن الذات هي الكتابة عن عقد نفسية ساهت المتغيرات التي لحقت المجتمع على مختلف أصعدته الاجتماعية، والسياسية، والاقتصادية، في تشكلها وتصعيد وتيرتها على مستوى الأنا وتحريكها كمخاض حركي فاعل بين الرغبة في الوجود والضياع المشتت على أعتاب فوضى صارخة على مستوى النفس، ومنه عملت الرواية الجديدة على محاولة البحث عن آليتاشتغالية جديدة تعمل على البحث عن منافس للكتابة وكتابة ما استعصى قوله وتأقلمه مع المتغيرات الخارجية.

5-التأزم النفسي بين السلطة البطرياركية (الأب) والتمرد على الو اقع في شخصية "محمد شكري":

قبل الانطلاق في حيثيات الفعل الكتابي للرواية يجدر الإشارة أن حياة محمد شكري الواقعة خارج أسوار هذي الرواية لا تختلف كثيرا أو بالأحرى يمكن القول أنها ترجمة لما عاشه في واقعه ومن ذلك يمكن القول بأن رواية "الخبز الحافي" هي سيرة ذاتية للكاتب حيث أننا لو عرجنا على حياته سنجد أن "محمد شكري" نشأ في ظروف مادية مزرية، فقر مضني وقلة المال وحياة لاحول لها ولا قوة، وهذا ما جعل العائلة في ترحال مستمر من أجل لقمة العيش حتى التمركز فيس طنجة والإقامة بها، كما يجدر الإشارة إلى المعاملة السيئة التي كان يعامل بها من طرف والده والتي أثرت بالسلب عليه من خلال اتخاذه قرار عدم الزواج جراء خوفه من إعادة تمثيل نفس الحياة مع أبنائه وهذا ما كان فعلا حيث أنه لم يتزوج طوال حياته.

مثل العنف المسلط على شخصية الطفل "محمد" في رواية "الخبز الحافي" من طرف والده من جهة ومن طرق الأوضاع الاجتماعية، والاقتصادية، من جهة أخرى ملمحا بارزا في توجيه سلوكياته، واطباعه التي مثلت ثورة صارخة قادت حياته من تأزم لآخر، ومن هنا نجد قيمة " المنهج النفسي" ودوره في فضح جملة التأزمات النفسية للشخصية الروائية من خلا التركيز على الدوافع اللاواعية والمتمثلة في الدافع الجنسي، والعصائية، والكبتية، ومحاولة ممارسة الفعل المحظور اجتماعيا، وأخلاقيا، في اللاوعي (مهدي، 2001، ص. 21).

وهذا ما يظهره " محمد" من خلال تمنيه قتل والده هذا الفعل الذي لم يستطع كبحه ولا تحقيقه مما جرأه إلى ممارسته في الخيال الذي يمثل مهربا ومساحة حرة تعطي للشخصية قدرة الفعل دون رقابة أو خوف أو عقاب " أطرافه ترتعش لآخر مرة مات أبي في خيالي" (شكري، 2002، ص. 33)، بكل هذا الكره والمقت الذي يحمله "شكري" اتجاه والده جعل منه - الكره- فعلا يحرك وتيرة السرد ويأثث للعملية الكتابية منذ أول سطور لآخر نقطة في السطر، إذ ضخم هذا الفعل السلوكيات التي كتبت بها الرواية "أخرج من بيتنا كارها إياه"(شكري، 2002، ص. 12)، وهذا ما جعله يعيش حياة تغريب وانتقام من أبيه، ومجتمعه، وفقره.

مثل الأب محركا ديناميكي من خلال عملية العنف التي كانت تسلط من طرفه على الشخصية سواء كان مباشرا من خلال الظرب والاهانة أو غير مباشر من خلال ضرب الأم "يضرب أمي من دون سبب" (شكري، 2002، ص12)، "يسكت أمي بالكم والرفس" (شكري، 2002، ص. 12)، وحتى هذا الضعف الذي تشخصت به الأم في الرواية مثل سلوكا نشأ عليه "محمد" "لماذا ليست قوية مثله؟، الرجال يضربون النساء وهن يبكين ويصرخن" (شكري، 2002، ص. 12)، من هذا المنطلق اعتمد "شكري" على قاعدة مستقبلية قوامها "عندما أكبر ستكون لي امرأة سأخاصمها في النهار بالضرب والشتم وأصالحها في اليل بالعري والعناق" (شكري، 2002، ص. 75)، وهذا من تجربة حية مثلتها علاقة والده بأمه التي اعتبرها علاقة استغلالية لضعف المرأة التي صورتها الرواية على كونها إما الضحية التي لا تستطيع التعبير عن ذاتها فتستكين للصراخ الضمني النفسي الذي من شأنه أن يمثل نافذة لممارسة بعض الراحة، وصورت من جهة أخرى المرأة البغي المومس التي تحركها الشهوة دونما قوانين أو مبادئ.

كذلك مثلت همجية الأب وعنفه من خلال قتله لابنه لأنه طلب قطعة خبز، فيصور لنا "محمد" هذا المشهد من الذي مثل له والآخر متكأ جديدا يصوغ به حالة الانفلات والضياع التي عاشتها" الوحش يمشي اليه يداه أخطبوط لا أحد يقدر أن يمنعه، أستغيث في خيالي، وحش مجنون... امنعوه، يلوي عنقه بعنف، أخي يتلوى يتدفق الدم من أنفه" (شكري، 2002، ص. 12)،

كل هذا العنف الذي عاشه "محمد" والممارس عليه من والده جعل منه يتبرأ منه إذ كل ما سأله أحد عنه أكد موته " كل من يسألني عن والدي أقول إنه ميت"(شكري، 2002، ص .11).

لم تقتصر همجية الوالد في الضرب أو التجريح النفسي والجسدي إنها تعدى إلى مصادرة الحق في التصرف بكل المستحقات التي كان يجنيها "محمد" دون ترك له ولو شيء زهيدا، ومن هنا فعملية العنف سطرت بكل أبعادها حالة التأزم الذي كانت تتخبط فيه الشخصية على طول العمل السردي بل ومثلت منهجا وسلوكا اعتمده في تسيير حياته مما أوقعه في بوتقة المحرمات والخوارق وكأنه بذلك يحاول تحوير الفعل إلى قصدية الممارسة والاتجاه إلى هذا النوع من الأفعال والسلوكيات كفعل انتقامي من المجتمع ووالده والحياة ككل وهذا ما جعله يسرق ويتسكع ويمارس الجنس بكل شذوذية وكذا الشرب وتناول المخضرات وكأن بذلك ممارسة كل فعل ممنوع من خلال أن كل ممنوع مرغوب.

6- الجنس كبديل للتأزمات النفسية في رواية " الخبز الحافي":

- **تعريف الفعل الجنسي:** في كثير من الأحيان تعتبر الغريزة المحرك الديناميكي لأفعال الإنسان خاصة تلك التي يكون لها وقع خاص نتيجة لظروف معينة، والتي بدورها نجدها دائما تبحث عن مبررات للقيام بها كفعل مقبول في الضائقة الاجتماعية الخاصة بكل فرد، أو البحث عن منفذ اجرائي مغاير يعمل على تحسين صورتها الاجتماعية من ذلك الفعل الجنسي الذي يعرف على أنه "الممارسة التي تتخذ وجه المتعة" (ناضر،2008، ص. 12)، كما يعد السلوك الطبيعي لغريزة طبيعية في تشكيل ذات الإنسان (فؤاد بن علي، 2010، ص 55)، من هنا نرى أن الجنس ما هو إلا مطلب حتمي في تشكيل حياة الإنسان اليومية سواء كان ذلك مطلبا غريزيا أو مطلب منفعة جراء طقوس الزواج أو ما يعرف بالتزاوج، يتم تفعيل الفعل الجنسي حياة الفرد كنوع من التفريغ الحتمي اليومي الذي يجد الفرد نفسه في حاجة ماسة إلى ممارسة هذا الفعل كونه مطلب حتمي يفضي إلى عيش الحياة بشكلها الطبيعي والإلزامي خاصة كونه الطريقة الوحيدة العاملة على التكاثر واعمار الأرض بغض النظر عن الاطار الذي تقام فيه هذه الممارسة.

يعد الفعل الجنسي في الثقافة العربية الإسلامية فعلا محتما مبني على أساس واحد لا يخرج عن إطار الشرع المتعارف عليه ألا وهو الزواج لذلك فأي ممارسة خارجة عن هذا يعتبر فعلا غير مقبول في المؤسسة الفاعلة ألا وهو المجتمع والعادات والتقاليد، وبالتالي فضرورة كبته إنما مطلب حتمي وجب اتخاذه من خلال (نصر، 2002، ص. 23):

أ-القدرة على التحكم بحالة الضعف الآنية التي تؤدي إلى هذا الفعل.

ب- إشغال النفس وتعبئة أوقات الفراغ ومحاولة البحث عن النفعيات مثل الانكباب على القراءة أو ممارسة هواية ما.

جـ- اعتماد الزواج كوجه منظم وسلوك طبيعي لهذا الفعل.

د- الاستعداد والرغبة وإدراك أن هذا الفعل لا يخرج عن إطار المحرمات مالم يدخل ضمن المشروط المشرع له.

شكلت الرواية التجريبية نوعا من الصدمة في تغلغلها بمواطن تعد من المحرمات التي لا يمكن تقبل فكرة نشرها أمام الجميع نظرا لخصوصية المجتمع المنغلق على حاله نوعا ما، حيث مثل الحديث عن السياسة/ الدين/ لجنس/ تجاوز لخصوصية مجتمع وعدم احترام الحدود الأخلاقية و"المساس بركن تشريعي" (مهند، 2005، ص. 54). و"الخروج عن الملة ومحاكاة الغرب والعيش على منوالهم دون احترام لحدود المكان والثقافة والهوية" (مهند، 2005، ص. 55)، وشكّل التجريب قضية دينية وأخلاقية أكثر منه تقنية تحديثية نقدية، نحن هنا لسنا بموقف الدفاع أو تبني جهة عن أخرى غير أننا لا ننفي أن أخذ الأمر من هذه الزاوية ليس منطقا كون أن المعروف أن الرواية " تتيح مجالا واسعا للتعبير عن الحياة، وواقع المجتمعات لأنها تعمل على تقريب المتخيل من الواقع، كما تتيح للراوي حرية أكبر.." (الخطيب،1981، ص. 107).

يعني أن الرواية أقرب الفنون لرصد الواقع واستيعابه لأنها " تقدم شبكة العلاقات الواقعية الاجتماعية، إياها"(الخطيب،1981، ص. 110) فإن الحديث عن السياسة إنما هو الحديث عن مبدأ وثورة ضد سياسة تعسفية وتجاوزات في حق الفرد/ المجتمع هو انتصار لقضية، هو وعي الذات بضرورة الكتابة كمحاولة للبقاء، للحلم، للبحث عن الذات الضائعة وهذا ما كشفناه من خلال النماذج أعلاه. طيب عند الحديث عن السياسة كواقع معاش أوليس الحديث عن الجنس هو الحديث عن واقع كذلك حتى أن الجنس كمشروع كتابي ليس وليد اللحظة ولا وليد التجريب بل نجده متجذر في الموروث العربي حتى وإن كان تلميحات أو ظهور طفيف له وأن العملية الجنسية متأصلة في المجتمع سواء كانت بوجه حق أو ما دون ذلك غير أننا كعرب لا يمكننا رؤية اخطاءنا تُمثّل أمام أعيننا من جهة، ومحاربة هذا النوع من التحديث باسم الدين وخدش حياء المجتمع، حتى التطرق للدين في الكتابة الروائية يعد ضربا من الكفر والالحاد إلى ما ذلك من التسميات التي طالت الكتاب التجريبين فإن التطرق إلى النبش في الموروث الديني والعقائدي يعد من أبرز " الأسباب التي أدت إلى الخوض والأخذ والرد الطويل في التجريب كممارسة روائية عربية (السيد،2010،ص. 3). دون ما الاهتمام لكل تلك التجاوزات الواقعية التي اغرقت

المجتمعات العربية باسم الدين وباسم الفهم المغلوط له والغلو في الممارسة والتشدد من منظمات وفتاوي... الخ.

مثلت كاريزما الجسد في الرواية التجريبية تساؤلات كثيرة من حيث دلالة التوظيف التي اشتغل عليها المبدع، إذ تعددت الاستعمالات بتعدد اللحظة الآنية في الفعل الكتابي والحالة النفسية التي من شأنها أن تمثل المنهج الذي تسلكه طريقة الاشتغال عن الأحداث وتفسيرا من وجهة نظر ذاتية المعطى حيث أنها تحفل بالتوترات والانفعالات النفسية التي تغذيها دوافع داخلية (بحراوي،1990، ص. 302). وبالتالي فالجوانب النفسية لها القدرة الكبيرة في تحوير فعل الكتابة واستشفافه في عملية فضح المختزل في اللاشعور أو الفعل المكبوت، كون الكتابة فعل توثيقي لحالة نفسية تستدعي البوح بمختزلات الذات التي رأت منها دافعا محركا لعملية نقل الشعور (النابلسي،1993، ص. 543.)، وترجمته لممارسة تعويضية عن حالة التيه والتأزم الذي تعيش الشخصية الساردة، فالحديث عن الجنس كفعل مناهض لعادات المجتمع الذي يعتبر مثبطا في ممارسته لنوع من الرقابة في تنظيم الفوضى التي من شأنها أن تخرج عن المتعارف عليه أو القالب المسطر كنوع من التشريع، إنما هو الحديث عن رغبة نفسية ذاتية تمثل أحيانا هو ذلك العزاء الذي تدفَن فيه هزيمة الحياة فهو ذلك الاخضرار الذي يعطي أمل النجاة إن صدقنا أن المرأة هي الوحيدة القادرة على بث الحياة في كل شيء تمّ اغتياله، فكل القوة تقاس على ذلك الجسد "ولا شيء يوجد خارج ما تثيره الكلمات والأوضاع أو ترسمه الأفعال في صورة (اللذة) لا تنتهي عند نقطة بعينها" (بنكراد، 1995، ص. 1).

من الجسد البقاء ومنه النهاية .وكأنه من ذلك يمثل تعويض لرغبة نفسية تتفجر في فعل الممارسة كضرورة ملحة في اشباع غريزي، ومن ذلك تصبح المسألة استدراج عملية التنفس والتحرر من ثقل الهواجس الغريزية والبحث عن فرصة اخراج المكبوت في فعل جنسي يغذي كل حالة ضياع، أو اشباع لشبكة من الرغبات والسلوكات هذا من جهة أو اعتبار المنفذ الجنسي تمردا على تنمرات مكبوتة تعجز عن ممارسة الفعل في الشمس لرقابة ما مما يضطرها إلى البحث عن متنفس وكأن بذلك العملية الجنسية إنما هي تصريخ مباشر لنوع من الانتقام من سلوكات مفروضة تمارس بطريقة تعسفية على الذات، التي لا تجد إلا الثورة والتمرد وعكس الفعل للخروج ربما من سيطرة تمارس عليه بحجم قوة مؤسسة عليا.

شكلت الرواية التجريبية نوعا من الصدمة في تغلغلها بمواطن تعد من المحرمات التي لا يمكن تقبل فكرة نشرها أمام الجميع نظرا لخصوصية المجتمع المنغلق على حاله نوعا ما وأقرب الفنون لرصد الواقع واستيعابه لأنها "تقدم شبكة العلاقات الواقعية الاجتماعية، إياها"

(النابلسي، 1993، ص 110). أوليس الحديث عن الجنس هو الحديث عن واقع كذلك حتى أن الجنس كمشروع كتابي ليس وليد اللحظة ولا وليد التجريب بل نجده متجذر في الموروث العربي حتى وإن كان تلميحات أو ظهور طفيف له وأن العملية الجنسية متأصلة في المجتمع سواء كانت بوجه حق أو ما دون ذلك غير أننا كعرب لا يمكننا رؤية اخطاءنا تُمثّل أمام أعيننا من جهة، ومحاربة هذا النوع من التحديث باسم الدين وخدش حياء المجتمع، حتى التطرق للدين في الكتابة الروائية يعد ضربا من الكفر والالحاد إلى ما ذلك من التسميات التي طالت الكتاب التجريبين فإن التطرق إلى النبش في الموروث الديني والعقائدي يعد من أبرز "الأسباب التي أدت إلى الخوض والأخذ والرد الطويل في التجريب كممارسة روائية عربية (السيد، 2010، ص. 3) دون ما الاهتمام لكل تلك التجاوزات الواقعية التي اغرقت المجتمعات العربية باسم الدين وباسم الفهم المغلوط له والغلو في الممارسة والتشدد من منظمات وفتاوي ...الخ.

إن التأثيث السردي للجنس في الخطاب بصياغته الحداثية عمل على تصعيد وتيرة الجسد كنوع من السياسات المخروقة في الخلفية الثقافية العربية، وكأن بذلك جاءت الرواية التجريبية بهدف تدوير اللعبة فأصبح البداية/ النهاية والحلم/ الهزيمة، كل الهزائم على خريطته وهو الوطن الوحيد الذي يحسسك بالانتماء في نفس الوقت فغدا الجسد" موضوعاً للسرد وموضوعاً للاستذكار والاستباق والاستيهام، وموضوعاً للغة أيضا" (بنكراد، 1995، ص. 3.)، المعركة الوحيدة التي لا يمكن لأبطالها خسارتها، بل هو ذلك العزاء الذي تدفَن فيه هزيمة الحياة فهو ذلك الاخضرار الذي يعطي أمل النجاة إن صدقنا أن المرأة هي الوحيدة القادرة على بث الحياة في كل شيء تمّ اغتياله، فكل القوة تقاس على ذلك الجسد "ولا شيء يوجد خارج ما تثيره الكلمات والأوضاع أو ترسمه الأفعال في صورة (اللذة) لا تنتهي عند نقطة بعينها" (بنكراد، 1995، ص.1).

وهذا ما يحرك في كل مرة وتيرة الأحداث وتناميها بعد كل سقوط وركود يأتي المحرك من أجل تصعيد عملية السرد "فمن الجسد تنبثق حركة الحدث وتنمو الدلالات وتتناسل الامكانات السردية" (بنكراد، 1995، ص. 2)، من ذلن نأخذ تجربة "محمد شكري" في روايته"الخبز الحافي" تتأثث الرواية على جملة من البرامج السردية لمختلف القهر والحرمان الذي عاشته الشخصية المحورية في الفعل الكتابي، وما نتج عنه من فعل مضاد مؤسس عن ردة الفعل بحتميات أفشت فعل الكتابة إلى مخارج نفسية وأخلاقية وعبثية صادمة تعادل بشاعة السياسة المسلطة عليها أضعافا كنوع من الانتقام من الذات والواقع والظروف (عطية،2006، ص. 143)، فكان مقتضى الحديث عن الجنس في الرواية كونه موضوع الدراسة إنما ترجمة فعلية وردة فعل مستلب متأتى من الضغوطات التي عاشتها شخصية الفعل السردي منذ تكونها وكيف تبلورت هذه الشخصية

النفسية وعلى تلك الأساسيات الهشة التي قامت عليها في كل مرحلة عمرية كون أن الممارسات النفسية المتمردة إنما هي بوادر لحياة حرمان يعيشها الفرد من ثم تتأصل وتنمو وتكبر في خط مستقيم لتمركز بدون وعي في المكبوتات أو اللاشعور كنوع من الضبط بعد التقدم في العمر (أمين،2012، ص. 13)، ذلك كون الشخصية تعي جيدا المنظور الرؤيوي لرقابة المؤسسة على هذا النوع من الممارسات.

تترعرع شخصية السارد/ البطل محمد في ظروف اجتماعية، واقتصادية، وحتى نفسية هيأت بل يمكن القول أنها فرضت تشكيل خاص للشخصية " شخصية جنسية شبقية مثل عامل الجنس في حياتها مشهدا دراميا يستعدي القيام به كل ثانية كتعويض عن ممارسات اعتباطية حياتية" (عزام، شذوذ، 2003، ص. 122)، وبالتالي ف "محمد" اعتبر العملية الجنسية إنما هي تمثيل حر مقموع من رقابة منظومة مؤسسة / الوالد الذي مثل نقطة تأزم على طول الخط السردي، بل يمكن اعتباره المحرك الأساسي للفعل كونه هو حجر الأساس الذي كان سببا في تكوين شخصية "محمد" "إذا كان هناك من يجب أن تطيعه فهو أنا. لا أحج إلا أنا... أتسمعني. أسمعك (أسمعك يا خليفة الله في أرضه)" (شكري، 2000، ص. 95) من خلال هذا القول يتضح جليا الدور السلطوي الذي يلعبه الأب في تأثيث متطلبات نوع الحكي والفعل المستطرد كنوع من الخروج عن قبضة هذه السيطرة التي خلفت كرهاً حد الموت بين السارد والأب كتعويض دلالي في استيهام منظومة الممارسات التي تحيل إلى الخروج عن عقلنة الفعل وضبطه بقيم أخلاقية ودينية " تخيلت يدي أبي تطبقان علي، إنه في خيالي كغريم البطل طرأ على الشاشة الآن، أنا البطل، ظغطت على الزناد: طراطاكطاط... طرأ طاطاطا طران. أبي يموت الرصاص يبرد في قلبه ومخه، والدم يسيل منه كما يسيل عدو البطل على الشاشة الآن، أطرافه ترتعش لآخر مرة مات أبي في خيالي، كما مات خصم البطل على الشاشة، هكذا تمنيت دائما أن أقتله" (شكري، 2000، ص. 33)، مثل الخيال عالما أسسته الشخصية من أجل ممارسة فيه كل أنواع المحرمات التي لم يستطع التعبير عنها صراحة أو تفعيلها ضمن الممارسة اليومية لفعل الحياة فهو تارة يرى الخيال مكانا لجريمة كاملة وتارة أخرى مرتعا للجنس واللذة "دخلت إلى بيت صاحب المقهى ابنته فاطمة تغسل الثياب منحنية ثوبها من الأمام منحسر... تلتفت إلي باسمة، ثوبها الخفيف أراه في الخيال ترفعه الريح" "أختلف أسبابا كاذبة عندما ألم أنها وحيدة في المنزل، أعريها بنار خيالي متى أشاء" (شكري، 2000، ص ص. 36-37.)، الهروب إلى تأسيس عالم متخيل لممارسة حالة النشوى في الأفعال إنما هو فعل يصدر لعدم قدرة الفرد على ممارستها بشكل طبيعي، كونها مرفوضة ممنوعة برقابة ما (معطوب،2010، ص. 51)، السلوك العدائي اتجاه السلطة البطرياركية الأبوية خلفت

ذاتا متأزمة اتخذت من الجنس والمحرمات والتعاطي وبيع المخضرات السبيل الوحيد الذي تقتات عليه إذ مثل الشارع المضاد المناهض لسلطة البيت كمؤسسة رقابية فضحت تلك الممارسات المتجاوزة والمغلوطة في تنشئت أفرادها (معطوب،2010، ص 60)، وبالتالي فالجهر بالغلو عن الحديث عن الجنس وممارسته منذ الصغر من طرف شخصية البطل/ السارد إنما هو تحصيل حاصل لنوعية النشأة فمنذ صغره وُضع " محمد" في مرئ عن الحياة الجنسية كم خلال" أحيانا يغيب أبي يوما أو يومين، حين يعود يتشاجران، غالبا ما كان يدميها لكني في الليل أسمعهما في الفراش يضحكان ويتأوهان بلذة، بدأت أعرف ما كان يفعلان، إنهما ينامان عاريين ويتعانقان" (شكري، 2000، ص.29).

مثل الجنس في رواية" الخبز الحافي" نظاما حياتيا كاملا يقوم على مختلف الممارسات ف"شكري" لا يتحرج أبدا في وصف ممارسة اللواط ولا في اشتهائه للجسد الأنثوي بعد كل ممارسة تعسفية من الأب الذي كما قلنا إنما هو محرك ديناميكي لعملية الضياع والتيه التي تعيشها الشخصية "قساوة أبي علي توقظ شهواتي نحو كل ما هو جسدي" (شكري، 2000، ص. 39)، يباشر "شكري" في وصف حبيباته التي مثلن خيط المتعة وافراغ الشهوة وممارسة السلطة المصادرة منه في الواقع عن طريق والده "أرى من ثقب الباب الشابة تنظف الأرض بالماء والصابون بحيوية حافية القدمين، جاسرة ثوبها الشفاف عن فخذيها البيضاوين ونهديها العاريين الصغيرين يهتزان، يطلان ويختفيان من خلال فتحة قميصها مثل عنقودين من العنب يتدليان"(شكري، 2000، ص.19)، ويصف آسية "تقف على عتبات درجات السلم، كأنها الوحيدة في هذا العالم، تفك حزام منامتها، لم أعد أرى سوى جسمها، تفتح المنامة الوردية مثل جناحي طائر يريد أن يطير ولا يطير" (شكري، 2000، ص. 33)، "قبضت بيديها على خصرها، تألمت، تمططت فخضاها ممتلئان، عاريان" (شكري، 2000، ص. 36).

اعتمد "شكري" في ممارساته الجنسية على الجانب السلطوي والعنف إذ أنه اعتمد على فكرة أن "المرأة تتعطش للعذاب الكبير ... لا تستشعر اللذة إلا إذا انقادت للرجل، ويكمن جوهر الأنوثة المازوشية أصلا في القدرة على استعارة اللذة في الألم" (المرنيسي،1987، ص. 17). من ذلك يقول "أصفعها كي أثير غضبها، أحبها غاضبة أكثر مما أحبها هادئة، أحبها حزينة أكثر مما أحبها فرحة" (شكري، 2002، ص. 12).

فأضحى الجسد خريطة ينغمس "محمد" في كينونته المتوهجة باحثا عن شتات الضياع المحترق في رفات الذات والسلطة الأبوية، والفقر، وقهر المجتمع، وهو رغبة تجتاحه ليثبت قوته المسلوبة منه وكأنه بذلك يبحث عن بديل ليمارس فيه السلطة والقوة ويبحث عن ذاته في الجسد

والجنس إنها الرغبة " هذه الحالة النفسية الديناميكية، هي هذه الحركة أو الحادثة الداخلية، هذه الكتابة الشعورية، والمشحونة بالصور والأشكال والاستيهامات والمشاعر" (دادون، 1995، ص. 53).

مثل الماخور البداية للحياة الجنسية التي عاشتها الشخصية،" ضاجعت خلال ليلتين ثلاثا منهن، رشيدة أفضلهن تتلوى في الفراش مثل حية، قال لي حميد الزيلاشي عن ليلى البوالة أنها تبول في الفراش أثناء النوم... سأنام معها الليلة لأرى إن كانت حقا تبول في الفراش" (شكري، 2002، ص. 167)، حيث مثل هذا المكان رمز الحرية من خلال تحرر الجسد من كل القيود، ومن كل الممارسات القهرية بل إنما هنا يمثل مضادا يمكن للشخصية أن تقوم بكل تلك الرغبات المكبوحة، دونما رقابة أو حواجز، بل شكل المكان نقطة قوة استطاع من خلالها "شكري" ممارسة التعويض السلطوي الذي فقده في بيته وواقعه وأمام والده.

لم تقتصر الممارسة الجنسية للشخصية على المرأة كونها عامل اللذة الوحيد بل تعدى ذلك من خلال ممارسة اللواط مع أطفال بفعل القوة لتعويض الجانب الضعيف منه والمقوقع تحت تأثير الأب، كانت ممارسة اللواط مع الشخصية بدايتها من الاستغلال وكأن حياتها كلها مبنية على هذا المعادل الموضوعي حيث أشار له عجوز بسيارة في مكان مهجور أن يصعد ومن هنالك بدأ العجوز يلاطف الشاب ويتلذذ بلمسه ومص عضوه وعند الانتهاء دفع له المقابل "حوالي خمس الدقائق يمصون خلالها للواحد شيئه ويعطونه خمسين بسيطة، هل كل من هم مثل العجوز يمصون؟ حرفة جديدة تضاف إلى الحرفتين الأخريين" (شكري، 2002، ص. 77)، ومن هذا مثل اللواط حرفة أخرى تضاف لعالم الشخصية، ليصبح الفعل الجنسي في الرواية مطلبا مهما وغاية إذ أن الشخصية قد استعملت كل الأساليب التي من شأنها أن تعطيه اللذة والنشوة فلم يكن يمانع في ممارسة الجنس مع الحيوانات، والاستمناء كآخر فرضية وحل يلجأ له.

ارتبط وجود "محمد" في رواية "الخبز الحافي" بالجسد في كل مرحلة عمرية في البناء السردي لتأزمي نفسي، وانفلات ديني، وسلطة قهرية، عمل خلالها بالبحث عن مضاد لمعالجة الأزمة النفسية من خلال الانحراف، فالمعروف أن المرأة ضعيفة إلى حد ما لذلك نجد "محمد" بغريزته يتجوه نحوها للبحث عن بعض الرجولة من خلال تفريش الجسد.

- الاقتراحات من خلال البحث:

- البحث عن آليات اشتغالية جديدة تحاول مجاراة التغيرات الاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية.

- الكتابة عن الجنس كظاهرة اجتماعية متغلغلة في المجتمع وفعل موجود من ناحية الهدف من كشف التخلخل الأخلاقي ومن ناحية المجاهرة والمفاخرة بالخروج عن المعتاد.
- توسيع النظرة التي من شأنها أن تعطي للكتابة نقدية الفعل الكتابي كواقع مدروس دون الاتجاه إلى محاربة الكتابة بالضيق الاجتماعي والأخلاقي.

- الخاتمة:

اعتبر الجنس حل للأزمة النفسية، وإخراج كل شهواته وغرائزه وكأنه بذلك انتقام من العالم ومن هنا مثلت الرواية التجريبية منعرجا في الكتابة عن الذات/ المجتمع ومحاولة تقريب تلك الممارسات التي غدت فعل تعويضي لكل أزمة.

كما أن الحديث عن الجنس في الرواية ليس تحديا فرضته الكتابة الجديدة بقدر ما هو سلوك فعلي كمخاض حركي لمجموعة تلك التأزمات والضياع إذ مثل المرجعية أو البرنامج المضاد الذي كان مناهضا للفعل التأزمي من جهة كما أشرنا في رواية "الخبز الحافي "ل " محمد شكري" أو الحرب الوحيدة التي يخضوها الكاتب المبدع والتي لا ينهزم فيها إنما تعد العملية الجنسية له المساحة التي يحس فيها باخضراره، فغدى الجسد مطلبا ديناميكي يشتغل في مواجهة التأزم النفسي ومحاولة كسب انتصار عليه فمنه البداية وعلى أخاديده النهاية.

تعبر رواية " الخبز الحافي" لمحمد شكري ترجمة ذاتية لسيرة حياته من خلال اسقاط الواقع المعاش على ذاكرة الورق.

من خلال الرواية المطبق عليها ندرك أن البدايات نهاية الخواتم وأن النهاية تكتب على مشارف البداية أي أن التنشئة والمعاملة التي تلقاها محمد شكري في سنوات ترعرعه هي المبادئ التي كونت شخصيته وبالتالي فحسن التنشئة وإعطاء البدايات التكوينية للشخصية قيمتها هي المفتاح المؤدي بنهاية المطاف إلى البناء والتقويم.

اتخاذ الإجراء الوقائي أو ردة الفعل اتجاه واقع معين لا ينتج بالضرورة حلا، إنما يمكن أن يكون السيل الذي يوقع للهاوية، وبالتالي فمحاولة البحث عن مضاد مناهض للفعل الموجود من منظور نفعي يعيد للذات مكانتها وقيمتها كونها حجر مهم في مجتمعها حتى وإن لم يكن المجتمع في حد ذاته خادما لها، غير أن هذا لا يلغي فاعلية الذات فيه وبالتالي فالمنفعة الذاتية أهم من الانتقام لواقع أو منفرد أو من ظروف، وهذا مالم يعتمده شكري في حياته من خلال تفضيله اتخاذ موقف الانتقام ومحاولة التمرد وعيش القوة والوقوف موقف المتسلط كنوع من إثبات الذات.

- قائمة المراجع:

- أبو سيف سندي سالم، (2008)، الرواية العربية واشكالية التصنيف، د-ط، عمان الأردن: دار الشروق للنشر.

- الباردي محمد، (2000)، إنشائية الخطاب في الرواية العربية الحديثة، د-ط، سوريا: اتحاد الكتاب العرب.

- الخطيب محمد كمال، (1981)، الرواية والواقع، ط1، بيروت لبنان: دار الحداثة للطباعة والنشر الرواية.

- الخواجا هيثم يحي، (1995)، التجريب المسرحي بين التنظير والتفعيل، مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مج 14، ع1.

- الدموس محيسن، (يناير 2007)، في معنى التجريب، مجلة طنجة الأدبية، ع 21، نقلا عن موقع المجلة not httb:/ www aladabia.

- السعافين إبراهيم، (1995)، الرواية في الأردن، منشورات لجنة تاريخ الأردن، ع 31.

- السيد هاني، (2010)، المرأة في المنظور الحداثي الجديد، الموقد، ع5.

- الكردي محمد، (1993)، اشكالية الكتابة في الرواية الجديدة من الواقعية إلى الواقعية المضادة، مجلة فصول، مج 11، ع 4.

- المرنيسي فاطمة، (1987)، الجنس كهندسة اجتماعية بين النص والواقع، د-ط، المغرب: نشر الفنك.

- الورقي السعيد، (1982)، اتجاهات الرواية المعاصرة، د -ط، الاسكندرية مصر: دار المعرفة الجامعية، ص 2-3.

- أمين محمد رضوى، (2012)، اللاوعي وانفلات الكتابة، مجلة الشهاب، ع22.

- أنايسنن، (1983)، رواية المستقبل، تر: محمد منقذ الهاشمي، د- ط، سوريا: منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي.

- باختين ميخائيل، (1990)، الملحمة والرواية، تر: جمال شحيد، ط1، بيروت لبنان: معهد الانماء العربي القومي.

- بحراوي حسن، (1990)، بنية الشكل الروائي، ط1، الدار البيضاء المغرب: المركز الثقافي.

- بن علي فؤاد، (2010)، المحظور في رواية غدا يوم جديد لعبد الحميد بنهدوقة، أعلام، ع 13.

- بنكراد سعيد، (1995)، الجسد والسرد ومقتضيات المشهد الجنسي، مجلة علامات، ع4

- بوتور ميشال، (1971)، بحوث في الرواية الجديدة، تر: فريد أنطونيوس، ط1، بيروت لبنان: منشورات عويدات.
- تزفيطان تدروف، (1994)، مدخل إلى الأدب العجائبي، تر: الصديق بوعلام، مراجعة: محمد برادة، ط1، دار شرقيات.
- جريبيه ألان روب، (1995)، نحو رواية جديدة، تر: مصطفى إبراهيم، د- ط، مصر، دار المعارف
- خالد أحمد راجح، (2010)، الكتابة في المنظور الحداثي. مجلة الموقد العدد 5
- خالدي رابحة، (2000)، التحليل النفسي للأدب، د-ط، الفكر للكتابة والنشر.
- دادون روجيه، (1995)، الرغبة والجسد، تر: محمد أسليم، مجلة علامات، ع4.
- رباعي محمد، (2005)، الرواية والواقع، مجلة عدن، ع22.
- سالم محمد، (2010)، الحداثة وتجلياتها في الرواية العربية، مجلة الأنبار، ع6.
- سعيد خالدة، (1984)، الملامح الفكرية للحداثة، مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مج 4، ع 3.
- سلامة عزيز، (2010)، الخطاب الروائي والايديولوجيا، الأنبار، ع6.
- شذوذ رضا عزام، (2003)، الشخصية وأثرها في روايات محمد شكري، د- ط، العربية للتوزيع والنشر والاشهار.
- شكري محمد، (2002)، الخبز الحافي، ط7، بيروت: دار الساقي.
- عطية أسامة محمد، (2006)، التحليل النفسي للعقدة الأودبية في الرواية العربية، ط1، الرشيد للنشر والتوزيع.
- كشك محمد، (1988)، علامات التحديث في القصة المصرية القصيرة، د -ط، بغداد: الموسوعة الصغيرة.
- معطوب خالد، (2010)، المرغوب والممنوع في الرواية الجزائرية، مجلة الموقد، ع5.
- مهدي خالد، (2001)، المناهج الحديثة وتطبيقها على النص الروائي، المنهل، ع4.
- مهند رائد، (2005)، المحظور في الرواية العربية، مجلة عدن، ع22.
- ناصر محمد، (2008)، المحرم في الكتابة المغاربية، مجاة تدوين، ع2,
- نصر الياس، (2002)، الكتابة والذات، مجلة التدوين، ع ع2.
- يقطين سعيد، (1985)، القراءة والتجربة (حول التجريب في الخطاب الروائي الجديد بالمغرب، ط1، المغرب: دار الثقافة.

النابلسي خليفة، (1993)، مدلول الشخصية بالمنظور النفسي، ط2 (روايات المحنة نموذجا)، المهدية.